بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وصلى الله وسلّم على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.

أما بعد : فإن الخوف على الأمة من أولئك الذين لبسوا ثياب العلم الشرعي – وما هم من العلم الشرعي في شيءٍ –، لهو الخوف الصادق على الأمة من الفساد والإنحراف، ذلك بأن تصدُّر الجهال في حين فقد العلماء الصادقين المتمكنين بابٌ واسع للضلال والإضلال.

وهذا ما أخبر به النبي ﷺ في قوله – كما في حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه – : " إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من العباد ولكن يقبض العلم بقبض العلماء ، حتى إذا لم يُبْقِ عالماً اتخذ الناس رؤساً جهالاً فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا " (صحيح البخاري رقم: ٦٩١٦– صحيح مسلم رقم:٤٩٥٨).

ولقد انتبه أهل العلم المخلصون لخطورة هذا الصنف من الناس على دين الأمة وعقيدتها ومصيرها، فقضوا بوجوب الحذر والتحذير منهم، وعدم الأخذ عنهم وأنا أنقل نصّين من كلام أهل العلم هما غاية في شرح هذا الباب :

– الأول : قول أبي بكر محمد بن الطيب الباقلاني –رحمه الله تعالى – حيث قال في كتابه (الإنصاف ص١١٤) :

" اعلموا – رحمنا الله وإياكم – : أن أهل البدع والضلال من الخوارج والروافض والمعتزلة قد اجهتدوا أن يدخلوا على أهل السنة والجماعة شيئاً من بدعهم وضلالهم ، فلم يقدروا على ذلك ، لذب أهل العلم ودفـــع الباطل، حتى ظفروا بقوم في آخر الوقت ممن تصدى للعلم ولا علم له ولا فهم، ويستنكف ويتكبر أن يتفهّم وأن يتعلّم ، لأنه قد صار متصدّراً معلماً بزعمه فيرى

–بجهله– أن عليه في ذلك عارا وغضاضة، وكان ذلك منه سببا –إلى ضلاله وضلال جماعته من الأمة " .اهـــ.

– الثاني : قول الراغب الأصبهاني –رحمه الله تعالى– (فيض القدير شرح الجامع الصغير / ص٣٤٢ج ٢) : " لاشيء أوجب على السلطان من رعاية أحوال المتصدرين للرياسة بالعلم. فمن الإخلال بها ينتشر الشر و يكثر الأشرار، ويقع بين الناس التباغض والتنافر ... إلخ

وقال : ولما ترشح قوم للزعامة في العلم بغير استحقاق ، واحدثوا بجهلهم بدعاً استغنوا بها عامة، واستجلبوا بها منفعة ورياسة ، فوجدوا من العامة مساعدة بمشاركتهم لهم ، وقرب جوهرهم منهم ، وفتحوا بذلك طرقاً مُنْسَدةً ورفعوا به ستوراً مسبلة وطلبوا مترلة الخاصة فوصلوها بالوقاحة، وبما فيهم من الشَّرهِ ، فبدعوا العلماء وجهَّلوهم اغتصاباً لسلطانهم ، ومنازعة لمكانهم، فأغروا بهم أتباعهم حتى وطؤوهم بأظلافهم وأخفافهم ، فتولد بذلك البوار والجور العام والعار" اهـــ.

فهذان النصان الجميلان أدعوا أهل العلم وطلابه لتأملها ، والنظر في معناهما ، وتأمل واقع المسلمين اليوم على ضوء ما شرحه هذان العالمان الكبيران. هل حلّ بنا ما حلّ من انحراف بعض الشباب في معتقده ، وظهور بوادر الفتن ، وتجرؤ الصغار على كبار الأئمة و" علماء الدعوة " وخروجهم على طريقتهم المستقاة من الكتاب والسنة والأثر مع معرفة تامة بمقاصد الشريعة ومواقع المصلحة– إلا لإختلال الميزان الذي يوزن به العلماء ، وارتقاء من لا علم له إلى مصاف الكبار؟ ، لقد صدق الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود رضي الله عنه وهو صادق، عندما قال : " إنكم في زمان كثير فقهاؤه قليل خطباؤه قليل سؤاله كثير معطوه العمل فيه قائد للهوى. اعلموا أن أحسن الهدى في آخر الزمان خيرٌ من بعض العمل. "

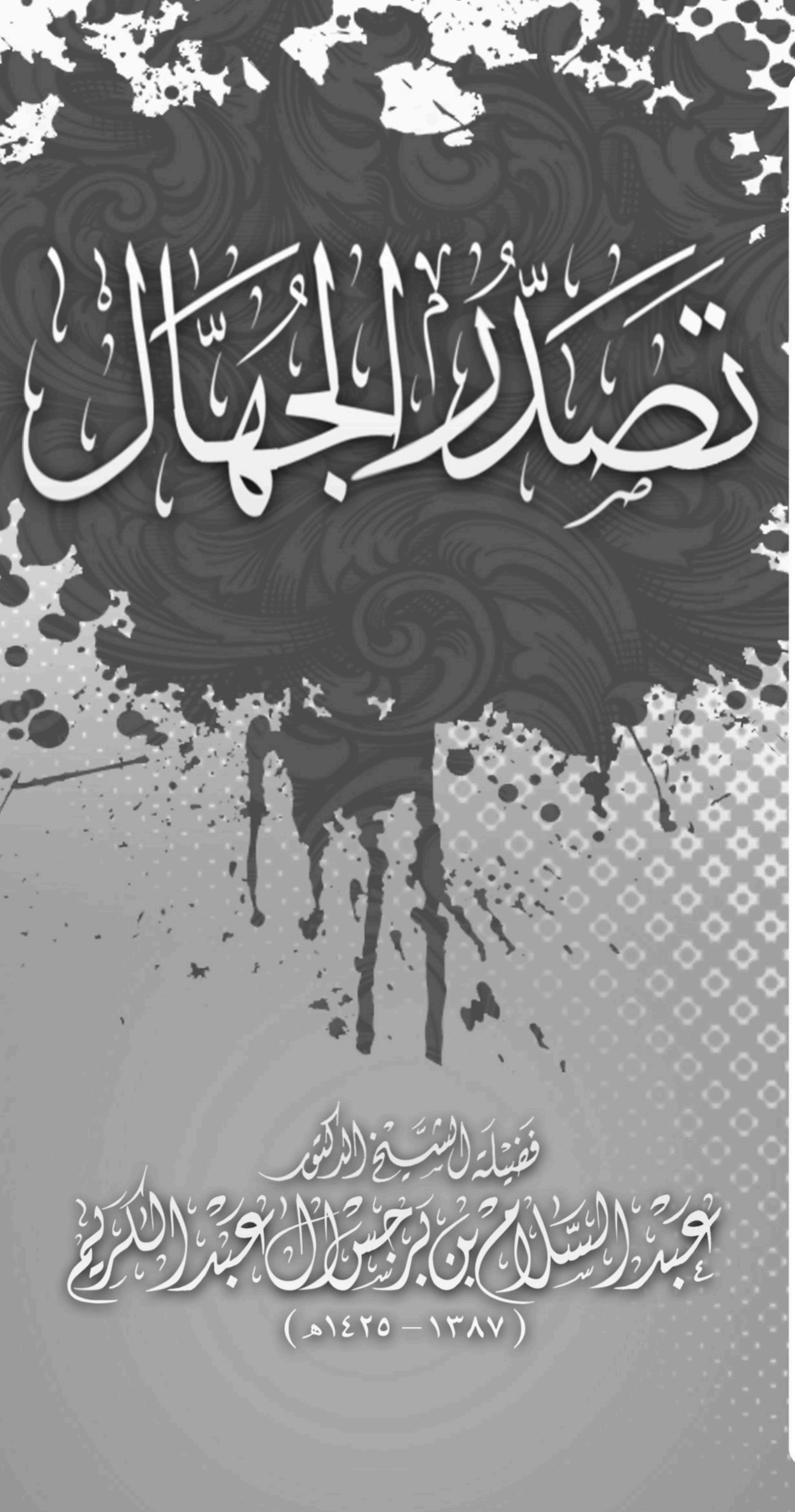

قال الحافظ في الفتح : " سنده صحيح ، ومثله لا يقال من قبل الرأي " أهـــ

وقد أخرج هذا الأثر – أيضاً– الإمام مالك في الموطأ (١/١٧٣) عن يحي بن سعيد أن عبد الله بن مسعود قال لإنسان : " إنك في زمان كثير فقاؤه ..." إلى آخره.

ثم قال ابن عبد البر (الإستذكار٢/٣٦٣) : " والعيان في هذا الزمان على صحة معنى هذا كالبرهان " أهـــ. هذا في زمانه رحمه الله فكيف بزماننا هذا ؟؟.

من مجموع مقالات الشيخ عبد السلام بن برجس العبد الكريم
رحمه الله تعالى

* * *

بحمد الله تم